لاأستطيع أن أؤديه كما أسمع منك أزيد حرفا أو أنقص حرفا فقال : اذا لم تحلوا حراما أو تحرموا حلالا واصبتم المعنى فلا بأس .

٣ ــ فان قلت ماتقول فى الحديث الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « ليردن على الحوض أقوام ثم ليختلجن دونى فأقول يارب أصيحابى أصيحابى فيقال لى أنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » وهو يفيد أنفريقا من الصحابة قد ارتد بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وهــذا ينافى القول بعدالتهم على الاطلاق .

والجواب : أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرد بالاقوام فى الحديث أصحابه الذين صدقوا فى الايمان وانما أراد بهم نفرا قليــلا كانوا من المنافقين الذين لم يخلصوا الايمــان وفيهم يقول الله تعالى : (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم) وهؤلاء كانوا يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ويحضرون معــه المغازى لا لاعلاء كلمة الله بل لأغراض أخرى كطلب الغنيمة أو تثبيطهم المؤمنين أو نحو ذلك فكانوا فى الظاهر معدودين من الصحابة وهم فى الواقع كفار وقد أظهروا ماكانوا يضمرون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والعداوة للمؤمنين وارتدوا عن الأســلام وأما الأصحاب الصادقون فلم يكن من أحد منهم ردة أصلا وجميعهم مات على الايمان والحمد لله .

٤ ــ « أبو هريرة رضى الله عنه وما قيل فيه »

طعن أرباب الأهواء قديمــا وحديثا فى أبى هريرة رضى الله عنــه

ليتخلصوا من أحاديثه التى تقف دون أهوائهم ، وترد كيدهم فى نحورهم ، وسندهم فى هذه المطاعن اما روايات مكذوبة أو ضعيفة واما روايات صحيحة لم يفهموها على وجهها بل تأولوها تأويلا باطلا يتفق وأهواءهم وانا لذاكرون لك بعضا من هـذه الطعون والجواب عنها بايجـاز ليكون ذلك نموذجا يحتذى فى الدفاع عن هذا الصحابى الجليل فنقول وبالله التوفيق :

(ا) مما طعن به أهل الأهواء فى صدق أبى هريرة رضى الله عنه « حديث الوعاءين » وهو مارواه البخارى فى باب حفظ العلم من كتاب العلم عن أبى هريرة قال : « حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم » .

قالوا : هذا الحديث لو صح لترتب عليه أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد كتم شيئا من الوحى عن جميع الصحابة سوى أبى هريرة وذلك لايجوز باجماع المسلمين .

والجواب : أنه ليس فى الحديث مايفيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختصه بهذا الوعاء دون غيره من الصحابة وعلى تقدير أنه اختصه بهذا الوعاء دون غيره من الصحابة فليس فيه شىء من كتمان الوحى الذى أمر الله رسوله أن يبلغه الناس قال ابن كثير : « هذا الوعاء الذى كان لا يتظاهر به هو الحروب والفتن والملاحم وما وقع بين الناس من الحروب والقتال وما سيقع » اهـ فالأخبار عن بعض الحروب والملاحم التى ستقع ليس مما يتوقف عليه شىء من أصول الدين أو فروعه فيجوز للنبى صلى الله عليه وسلم أن يخص بمثل هـذا النوع من الوحى شخصا دون آخر أو فريقا دون فريق .

(ب) ومما اتخذ شبهة على صدق أبى هريرة فى الحديث أنه كان يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أدرك الصبح وهو جنب فلا يصم » ويفتى به الناس فبلغ ذلك عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما فأنكرتا عليه وذكرتا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم » فرجع الى حديثهما وقال : كذلك حدثنى الفضل بن العباس وأسامة بن زيد عنه صلى الله عليه وسلم ، وأمهات المؤمنين أعلم بمثل ذلك من الرجال .

والجواب : أن أبا هريرة لم يسمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سمعه من الفضل وأسامة عنه صلى الله عليه وسلم وهما من أهل الصدق والأمانة ولكن لما ترجح لديه حديث عائشة وأم سلمة رجع اليه وترك فتواه اتباعا للحق وأما حديث الفضل وأسامة فقد أجاب عنه العلماء بأجوبة (منها) أنه معارض بما هو أقوى منه فيترك العمل به الى الأرجح (ومنها) أنه كان فى مبدأ فرض الصيام حين كان الأكل والشرب والجماع محرما بعد النوم ثم أباح الله ذلك كله الى طلوع الفجر فكان للمجامع أن يستمر الى طلوعه فيلزم أن يقع اغتساله بعد طلوع الفجر فدل على أن حديث عائشة وأم سلمة ناسخ لحديث الفضل وأسامة ولم يبلغهما ولا أبا هريرة الناسخ فاستمر أبو هريرة على الفتيا به ثم رجع عنه بعد ذلك لما بلغه قال فى فتح البارى (٤ — ١٢٨) : « وفيه فضيلة لأبى هريرة لاعترافه بالحق ورجوعه اليه » .

(جـ) قالوا : روى أبو هريرة حديث (لاعدوى ولا صفر ولا هامة) فقال أعرابى يارسول الله فما بال الابل تكون فى الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فمن أعدى الأول) .

وروى أيضا حديث (لا يوردن ممرض على مصح)أى صاحب ابل مريضة على صاحب ابل صحيحة مخافة العدوى .

قالوا : وبين الحديثين تناقض اذ الحديث الأول ينفى العدوى والثانى يثبتها والنبى صلى الله عليه وسلم لايتكلم بمثل هذا فدار الأمر بين كذب أبى هريرة أو نسيانه فى الرواية فان قلنا بكذبه ارتفعت الثقة بمروياته وان قلنا بنسيانه ناقض حديث ضم الرداء وقوله فيه (فوالذى نفسى بيده مانسيت منه شيئا بعد) .

والجواب : أنه لاتناقض بين الحديثين فحديث (لاعدوى) معناه نفى أن تكون العدوى مؤثرة بذاتها دون ارادته تعالى ، وحديث (لايوردن ممرض على مصح) المقصود منه ألا يورد صاحب الابل المريضة ابله على ابل صحيحة لئلا تمرض فيتوهم الناس أن ذلك المرض جاء للابل الصحيحة من طريق العدوى بدون اذنه تعالى ولك أن تقول أن المقصود من الحديث الثانى هو اثبات العدوى من طريق السببية العادية التى يجوز فيها تخلف المسبب عن سببه فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن تلك المخالطة من باب اتقاء أسباب الهلاك العادية امتثالا لقوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) — واذا لم يكن بين الحديثين تناقض فلا كذب ولا نسيان .

نعم ثبت أن أبا هريرة كان يروى الحديثين جميعا فى بعض المجالس وكان يقتصر على رواية أحدهما فى بعضها فاقتصر مرة على رواية الحديث الثانى فقيل له انك رويت حديث (لاعدوى) فرطن بالحبشية وأنكر على من قال له ذلك فظن أبو سلمة «الراوى للحديثين عنه » أن أعراضه عن رواية حديث (لاعدوى) فى ذلك المجلس نسيان منه لروايته ويجاب عن

ذلك بأن اعراضه عن روايته هذا الحديث ليس من قبيل النسيان كما فهم أبو سلمة وانما هو من باب مراعاة حال من يحدثهم ولذلك يقول القرطبى فى المفهم : (يحتمل أن يكون أبو هريرة خاف اعتقاد جاهل يظنهما متناقضين فسكت عن أحدهما وكان اذا أمن ذلك حدث بهما جميعا) اهـ وان أردت زيادة على ذلك فارجع الى فتح البارى فى باب لاهامة من كتاب الطب .

(د) قالوا : كان أبو هريرة يدلس فى الحديث فيروى عن النبى صلى الله عليه وسلم مالم يسمعه منه كما فى حديث (من أصبح جنبا فلا صوم له) وقد تقدم والتدليس أخو الكذب .

والجواب عن ذلك : أن أبا هريرة بحكم تأخر اسلامه الى سنة سبع من الهجرة قد فاته كثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عليه ليستكمل علمه بالحديث أن يأخذه عن الصحابة الذين سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم شأنه فى ذلك شأن سائر الصحابة الذين لم يحضروا مجالسه صلى الله عليه وسلم ، اما لاشتغالهم ببعض أمور الدنيا ، واما لحداثة أسنانهم ، واما لتأخر اسلامهم ، أو لغير ذلك ، يؤيد ذلك ما ثبت عن حميد قال : كنا مع أنس بن مالك فقال : « والله ما كل ما نحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعناه منه ، ولكن لم يكن يكذب بعضنا بعضا » رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح . وعن البراء قال : « ما كل الحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يحدثنا أصحابه عنه ، كانت تشغلنا عنه رعية الابل » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ورواه الحاكم أيضا فى المستدرك بلفظ : « ليس كلنا سمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لنا ضيعة

واشغال ولكن الناس كانوا لا يكذبون يومئذ ويحدث الشاهد الغائب » قال الحاكم صحيح على شرطهما ولم يخرجاه وأقره الذهبى .

ولا ينبغى أن يعد حذف الصحابى الذى سمع الحديث ولقنهم اياه من قبيل التدليس اذ الصحابة كلهم عدول باجماع أهل الحق . وخلاف العلماء فى الاحتجاج بالمرسل انما كان للجهل بحال المحذوف وذلك لا يتأتى ههنا ولذلك يقول ابن الصلاح فى مقدمته : « مرسل الصحابى مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمعوه منه فى حكم الموصول المسند لأن روايتهم عن الصحابة والجهالة بالصحابى غير قادحة لأن الصحابة كلهم عدول » اهـ وقال السيوطى فى التدريب : (أما مرسل الصحابى كأخباره عن شىء فعله النبى صلى الله عليه وسلم أو نحوه مما يعلم أنه لم يحضره لصغر سنه أو تأخر اسلامه فمحكوم بصحته على المذهب الصحيح الذى قطع به الجمهور من أصحابنا وغيرهم وأطبق عليه المحدثون المشترطون للصحيح القائلون بضعف المرسل وفى الصحيحين من ذلك ما لا يحصى لأن أكثر رواياتهم عن الصحابة وكلهم عدول ورواياتهم عن غيرهم نادرة واذا رووها بينوها بل أكثر ما رواه الصحابة عن التابعين ليس أحاديث مرفوعة بل اسرائيليات أو حكايات أو موقوفات) أ هـ ومن ذلك كله يتبين أنه لا كذب من أبى هريرة اذ أنه لم يقل فى هذا الضرب من الحديث : « سمعت رسول الله يقول كذا أو رأيته يفعل كذا » بل كان يقول : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا أو فعل كذا وما شابه ذلك » — كما أنه لاتدليس منه أيضا لأن الراوى المحذوف من الصحابة والاجماع قائم على عدالتهم .

(هـ) قالوا : نهاه عمر عن التحديث ، وقال له : « لتتركن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لألحقنك بأرض دوس » وهذا من عمر يدل على كذب أبى هريرة .

والجواب : ان أبا هريرة كان يرى لزاما عليه أن يحدث الناس بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خروجا من اثم كتمان العلم ، وقد ألجأه ذلك الى أن يكثر من رواية الحديث ، فكان فى المجلس الواحد يسرد الكثير من أحاديثه صلى الله عليه وسلم . ولكن عمر رضى الله عنه كان يرى أن يشتغل الناس أولا بالقرآن ، وأن يقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير أحاديث العمل ، وأن لا يروى للناس أحاديث الرخص لئلا يتكلوا عليها ولا الأحاديث المشكلة التى تعلو على أفهامهم ، كما أنه كان يخاف على المكثرين الخطأ فى رواية الحديث الى غير ذلك ، ومن أجل ذلك كله نهى عمر الصحابة عن الاكثار من الرواية ، وأغلظ لأبى هريرة القول وهدده بالنفى لأنه كان أكثر الصحابة رواية للأحاديث أفاد ذلك الحافظ ابن كثير ثم قال : « وقد جاء أن عمر أذن له بعد ذلك فى التحديث فقال مسدد حدثنا خالد الطحان حدثنا يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبى هريرة قال : بلغ عمر حديثى فأرسل الىّ فقال : كنت معنا يوم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت فلان قال قلت نعم ، وقد علمت لم تسألنى عن ذلك ، قال ولم سألتك ، قلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : (من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) قال أما اذن فاذهب فحدث » أ هـ من البداية والنهاية (٨ — ١٠٦ ، ١٠٧) .

(و) قالوا : ولم يكن عند أبى هريرة رصيد من الأحاديث أكثر

من غيره ، وانما الذى جعله يتفوق على غيره من الصحابة فى كثرة الرواية أنه استجاز لنفسه أن ينسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلام حسن ، قاله أو لم يقله ، مما هو خارج عن دائرة الحلال والحرام ، كالحث على مكارم الأخلاق ، وأخبار الجنة والنار . قالوا : وسند أبى هريرة فى ذلك أحاديث رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم منها :

١ — « اذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس » .

٢ — « اذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به حدثت به أو لم أحدث » .

٣ — « ما بلغكم عنى من قول حسن لم أقله فأنا قلته » .

والجواب عن ذلك : أن كثرة أحاديث أبى هريرة مع تأخر اسلامه لا ترجع الى ما زعموه ، وانما ترجع الى انقطاعه عن الدنيا الى مجالسه صلى الله عليه وسلم وملازمته اياه سفرا وحضرا ، والى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم له ألا ينسى شيئا من حديثه ، والى أنه عاش بعد وفاته صلى الله عليه وسلم نحوا من خمسين عاما يأخذ عن الصحابة ما فاته من الأحاديث ثم يرويها للناس .

وأما زعمهم أنه استجاز لنفسه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير الحلال والحرام فباطل من وجوه :

١ — أن أبا هريرة من رواة حديث (من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) وثبت عنه أنه كان يذكره بين يدى ما يريد أن يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كثير من مجالسه .

٢ — وأن الصحابة قد أقروه على رواية الأحاديث ، ورووها عنه ،

ومن هؤلاء عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصارى وابن عباس وعائشة وجابر وعبد الله بن عمر وأبى بن كعب وأبو موسى الأشعرى « راجع فى ذلك مستدرك الحاكم ج ٣ — ص ٥١٣ وتاريخ ابن كثير ج ٨ — ص ١٠٨ » وهذا اجماع منهم على صدقه وأمانتـه .

٣ — وأن الأحاديث التى رواها أبو هريرة وجد أكثرها عند غيره من الصحابة .

وأما الأحاديث التى نسبوها الى أبى هريرة فنجيب عنها بما يلى :

١ — الحديث الأول فى الرواية بالمعنى لا فيما زعموه من اباحة الكذب عليه صلى الله عليه وسلم ولم يروه أبو هريرة بل رواه غيره ففى مجمع الزوائد (١ — ١٥٤) عن يعقوب بن عبد الله بن سليمان بن أكيمة الليثى عن أبيه عن جده قال : أتينا النبى صلى الله عليه وسلم فقلنا له بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله ، أنا نسمع منك الحديث فلا نقدر أن نؤديه كما سمعنا قال : « اذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس » رواه الطبرانى فى الكبير ولم أر من ذكر يعقوب ولا أباه أ هـ وعزاه السيوطى فى تدريب الراوى (ص ١٦١) الى ابن منده فى معرفة الصحابة والطبرانى فى الكبير .

٢ ، ٣ — والحديثان الثانى والثالث مكذوبان على أبى هريرة اذ فى سند الأول منهما أشعث بن براز : « كذاب ساقط لا يؤخذ حديثه » — وفى سند الثانى منهما عبد الله بن سعيد ، « كذاب مشهور » . قال ابن حزم فى الأحكام . (ج ٢ — ص ٧٦ وما بعدها) : « وقد ذكر قوم لا يتقون الله عز وجل أحاديث ، فى بعضها ابطال شرائع الاسلام ، وفى

بعضها نسبة الكذب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واباحة الكذب عليه » ثم سرد تلك الأحاديث ، وفيها هذان الحديثان ، وأبطلهما بما ذكرناه ، ثم قال ردا على من أباح أن ينسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يقله : « حسبنا أنهم مقرون على أنفسهم بأنهم كاذبون ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) » .

(ز) دائرة المعارف الاسلامية — رأيها فى أبى هريرة

كتب أستاذنا العلامة الجليل الشيخ « محمد عرفة » عضو جماعة كبار العلماء ، بمجلة نور الاسلام « مجلة الأزهر الآن » ص ٦٣٩ وما بعدها من المجلد الخامس ، مقالا قيما فى الدفاع عن راوية الاسلام (أبى هريرة) رضى الله عنه ، يفند فيه مزاعم أصحاب دائرة المعارف الاسلامية المترجمة عن الانجليزية . ونحن نأتى هنا بخلاصة هذا المقال قال حفظه الله :

« للمستشرق جولد سيهر » رأى فى الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه ، نشره فى العدد السابع من المجلد الأول من دائرة المعارف الاسلامية — هذا الرأى لا يستند الى بحث تاريخى ولا سند علمى .

طعن جولد سيهر فى أبى هريرة طعونا عدة ، كلها تدور حول عدم أمانته فى نقل الأحاديث ، فقد ذكر أنه مختلق ، ومسرف فى الاختلاق ، وأنه كان يفعل ذلك بداعى الورع ، وان الذين أخذوا عنه مباشرة قد شكوا فيما ينقل ، وعبروا عن هذا الشك بأسلوب ساخر ، وأنه كان يضمن أحاديثه أتفه الأشياء بأسلوب مؤثر ، وذلك يدل على روح المزاح التى كانت فيه ، والتى كانت سببا فى ظهور كثير من القصص ، وصاحب

هذه المطاعن يعزو مطاعنه الى كتب اسلامية ، ليلقى عليها ثوبا خلابا ، وليوقع فى روع الناس أنها صحيحة ، وهذه طريقة فيها كثير من الخداع واللبس والتزوير ، وسنميط اللثام عما فيها وبالله التوفيق :

« ان أبا هريرة الذى يجرحونه هذا التجريح ، ويسيئون اليه هذه الاساءة ، هو من جلة الصحابة ومن أوسعهم رواية ، بل هو أوسعهم رواية لا مستثنيا أحدا الا ابن عمرو ، وتجريح هذا البحر الذى ملىء علما ، وأداه الى من حملوه عنه ، وأدوه الى من بعدهم حتى وصل الينا ، تجريح لهذا العلم الغزير ، ورفع للثقة عن كل مروياته ، وفيه افساد كبير ، ولو كان لهذا الطعن وجه من الصحة لاحتمل ، ولكنه طعن باطل ، لا حق فيه .

« هذا الامام قد روى عنه ثمانمائة من أهل العلم كما قال البخارى ، وهذا فيه الدلالة على ثقتهم به ، لأنهم لو لم يثقوا به لما رووا عنه ، وهو ثقة ثبت عند الصحابة وأهل الحديث . قال ابن عمر : أبو هريرة خير منى وأعلم بما يحدث . وقال طلحة بن عبيد الله أحد العشرة : ولا شك أن أباهريرة سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم نسمع . وروى النسائى : « أن رجلا جاء الى زيد بن ثابت فسأله عن شىء فقال زيد عليك أبا هريرة .. الحديث » وقد ذكره بتمامه [1] .

« وكان كثير الحفظ شديد الضبط ، شهد له بذلك أهل العلم والثقات ، قال الشافعى : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره . وحدث الأعمش عن أبى صالح قال : كان أبو هريرة أحفظ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وقال أبو الزعيزعة كاتب مروان : أرسل

(١) تقدم هذ الحديث فى ترجمة أبى هريرة .

مروان الى أبى هريرة فجعل يحدثه ، وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به ، حتى اذا كان فى رأس الحول أرسل اليه فسأله وأمرنى أن أنظر ، فما غير حرفا عن حرف .

« هذه آراء الثقات أصحاب هذا الشأن فيه ، فمن عدلوه فهو الثبت الذى لا يجرح ، ومن بهرجوه فهو الزائف الذى لا يعدل ومن حظى بمثل هذا الثناء من هؤلاء العلماء الأفاضل ، فلا يضيره ما يقال بعد ذلك فيه :

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضبانا علىّ لئامها

ولا بد لنا — بعد هذا الاجمال — أن نعرض لهذه الشبه التى أثاروها ونفندها :

١ — زعموا أن علمه الواسع بالأحاديث أثار الشك فى نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة فلم يترددوا فى التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر — وأحالوا القارىء على البخارى فى كتاب فضائل الأصحاب رقم ١١ — يريدون بذلك حديث أبى هريرة : أن الناس كانوا يقولون أكثر أبو هريرة ، وأنى كنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنى ، حتى لاآكل الخمير ، ولا ألبس الحبير ، ولا يخدمنى فلان ولا فلانة ، وكنت ألصق بطنى بالحصباء من الجوع — الى آخر الحديث (٥ — ١٩ من الأميرية) والمنصف يرى من هذا الأثر أن بعض الناس قال : أكثر أبو هريرة تعجبا من كثرة حفظه وروايته ، وقد أظهر لهم السبب فى كثرة روايته وحفظه وهو أنه كان ألزم الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه ما كان يعنيه الغنى ، وانما كان يعنيه الأخذ عن رسول الله ، وكان يلصق بطنه بالحصباء من الجوع ، وما كان يشغله عن رسول الله تجارة

ولا زراعة ، فحفظ مالم يحفظوا ، وسمع مالم يسمعوا ، فلما بين لهم السبب سكتوا عنه .

ولنسلم ما زعموه من أنهم كانوا شاكين لا متعجبين ، أفما كان ينبغى أن يأخذوا من تركهم اياه يحدث بعد ذلك مدة عمره — وقد عمر بعد رسول الله نحوا من خمسين سنة — أنهم اقتنعوا بتعليله ، وزال هـذا الشك من نفوسهم ، اذ لو كانوا يرون فى حديثه بأسا لكفوه عن التحديث ، وهم من نعلم فى المحافظة على حديث رسول الله ، والخوف أن يتسع الناس فيه ، ويدخله التدليس والكذب .

٢ — وأما زعمهم أن روايته ضمنها أتفه الأشياء بأسلوب مؤثر ، وذلك يدل على ما امتاز به من روح المزاح ، الأمر الذى كان سببا فى ظهور كثير من القصص ، وعزوهم ذلك الى ابن قتيبة ، فليس شىء أو غل فى التضليل والابهام من هذا — نحن لا ندرى ما هى هذه الأحاديث التى زعموها ، وكان يجب عليهم أن يبينوها لنا لنناقشهم فيها . وكان يجب عليهم أيضا اذ عزوا لابن قتيبة ، أن يذكروا اسم ذلك الكتاب ، فان لابن قتيبة مؤلفات كثيرة ، طبع منها كثير ، انهم لو فعلوا ذلك لكنا نبين لهم أن ما فى ابن قتيبة ليس كما فهموه ، اذ لا يعقل أن يثنى ابن قتيبة الثناء المستطاب على أبى هريرة فى كتـابه (تأويل مختلف الحديث) ص ٤٨ وما بعدها ثم هو ينسب اليه ما ذكره أصحاب الدائرة .

٣ — وأما ما نقلوه من وصف (شبرنجر) لأبى هريرة من أنه المتطرف فى الاختلاق ورعا ، فلسنا ممن يؤمن بقول (شبرنجر) وغير (شبرنجر)، من المتطرفين فى الاختلاق على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تضليلا للمسلمين ، وتشويشا على الدين ، وايذاء للحقيقة ، وسترا

للواقع ، وبحسبنا أن نقول : هذا طعن لا مبرر له ، وتجريح لا يستند على سند :

والدعاوى أن لم تقيموا عليها بينـات أبنـاؤها أدعيـاء

وقولهم انه المتطرف فى الاختلاق ورعا ، كلام متهافت ، لأنا لا نعلم الورع الا مانعا من الاختلاق على الناس ، فضلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وكيف يختلق أبو هريرة على رسول الله ، وهو راوى حديث « من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وكان يبدأ به عندما يريد أن يحدث — فرجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث ، ووعاه وأداه ، وكان يستذكره. ويذكر به ، ويقدمه أمام تحديثه عن رسول الله ، وهو مؤمن ورع تقى ، يستحيل فى العادة أن يكذب على رسول الله ، فضلا عن أن يتطرف فى الكذب عليه ، ويرى أن الاختلاق والكذب عليه دين وورع .

٤ — وأما قولهم أن كثيرا من الأحاديث التى عزيت الى أبى هريرة نحلت عليه فى عصر متأخر ، فنحن نسلم أن أحاديث كثيرة وضعت وعزيت زورا الى أعاظم المحدثين مثل أبى هريرة ، ولكن رجال نقد الحديث قد عنوا ببيان الموضوع منها ، وبهرجوا الزائف ، ولم يخف عليهم بطله ، وأفسدوا على الوضاعين طريقهم .

وبعد : فاذا كان أصحاب (دائرة المعارف) قد ألفوها لغرض أن تكون صورة صحيحة للمعارف الاسلامية فما أبعدها عن أن تكون كذلك وما أبعدهم فيها عن نيل هذا الغرض . واذا كانوا قد ألفوها لغرض تقبيح حال المسلمين فى نظر الغربيين وتشويش عقائد المسلمين ، وفتنة الشباب فى دينهم فهى صالحة لهـذا الغرض مؤدية له » أ هـ ما أردنا نقله من كلام الباحث الجليل الشيخ محمد عرفه .

كلمة الختام فى راوية الإسلام

وبعد فقد طفحت كتب المبتدعة والمستشرقين ، وأعداء الدين ، ومن تتلمذ لهم من جهلة المسلمين المأجورين ، قديما وحديثا ، بالكيد للاسلام فى أشخاص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا سيما أبو هريرة راوية الاسلام الأول .

وفى هذه الأزمان المتأخرة ، ظهرت شرذمة من أدعياء العلم والخلق التافهين ، جمعوا كناسة العصور كلها من الطعون والأزراء على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة ، وأبى هريرة خاصة ، يريدون ليهدموا ركنا شامخا من أركان الدين ، وأصلا وطيدا من أصـــوله ، ألا وهو سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فلم يكتفوا بما أوردناه من مزاعمهم الباطلة ، ولكنهم ضموا اليها تافها من القول وزورا ، ولا بأس أن نذكر لك شيئا منهامع الرد عليها بايجاز فنقول :

١ — زعموا أن أبا هريرة انما أسلم حبا فى الدنيا لا رغبة فى الدين . وهذه دعوى يكذبها ما كان عليه أبو هريرة من التقشف والانقطاع الى العلم والعبادة ، والجهاد فى سبيل الله ، والتفانى فى تبليغ أحاديثه صلى الله عليه وسلم .

٢ — وزعموا أن أبا هريرة كان خفيف الوزن فى العلم والفقه وهذا محض افتراء على التاريخ والواقع قال ابن سعد : كان ابن عباس وابن عمر وأبو سعيد الخدرى وأبو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وجابر ورافع بن خديج وسلمة بن الأكوع وأبو واقد الليثى وعبد الله بن بحينة مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتون بالمدينة ويحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن توفى عثمان الى

أن توفوا أ هـ ومعنى هذا أن أبا هريرة مكث يفتى الناس على ملأ من الصحابة والتابعين ثلاثة وعشرين عاما .

وقد ذكر ابن القيم فى اعلام الموقعين (١ — ٩) المفتين من الصحابة وذكر أنهم كانوا بين مكثر منها ومقل ومتوسط ، وذكر أبا هريرة فى المتوسطين مع أبى بكر الصديق وعثمان بن عفان وأبى سعيد الخدرى وأم سلمة وأبى موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل وسعد بن أبى وقاص وجابر بن عبد الله وغيرهم » فمن زعم أن أبا هريرة غير فقيه فهو العارى عن الفقه .

٣ — وزعموا أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين ، ثم بلغه عنه ما يخل بأمانة الوالى العادل ، فعز له وأخذ ما بيده من أموال ، وضربه حتى أدماه . وهذا كلام من لم يميز بين الحق والباطل من أقوال المؤرخين. والرواية التى يعول عليها أن عمر لما استحضر أبا هريرة من البحرين قال له استأثرت بهذه الأموال فمن أين لك قال أبو هريرة : خيل نتجت ، وأعطية تتابعت ، وخراج رقيق لى ، فنظر عمر فوجدها كما قال ، ثم دعاه عمر ليستعمله أيضا فأبى ، فقال له عمر : لقد طلب العمل من كان خيرا منك ، قال أبو هريرة : أنه يوسف نبى الله بن نبى الله ، وأنا أبو هريرة ابن أميمة . ومن ذلك يتبين أن عمر حاسبه على ما بيده من مال — كما حاسب غيره من العمال — فوجد الأمر كما قال ، فعرض عليه أن يوليه ثانية فأبى ، وهذا من عمر يدل على وثوقه بأبى هريرة وأنه كان لديه أمينا حق أمين .

٤ — وزعموا أنه كان فى الفتنة يصلى خلف على ويأكل مع معاوية فاذا حمى الوطيس لحق بالجبل فاذا سئل قال : على أعلم ومعاوية أدسم

والجبل أسلم . وهذا من افكهم وأباطيلهم ، والثابت تاريخيا أن أبا هريرة رضى الله عنه اعتزل الفتنة وأقام بالمدينة ولم يبرحها .

٥ — وزعموا أنه كان متشيعا لبنى أمية ، ويأخذ من معاوية جعلا على وضع الأحاديث فى ذم على رضى الله عنه . والتاريخ الصحيح يسجل أن أبا هريرة روى من الأحاديث ما فيه الثناء المستطاب على علىّ رضى الله عنه وآل البيت ذكر أحمد فى مسنده طرفا منها وكذلك صاحب مجمع الزوائد ، وقصته مع مروان حين أرادوا دفن الحسن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد عدل على مبلغ حبه لآل البيت وقد ذكرها ابن كثير فى تاريخه (٨— ١٠٨) ثم أين هى تلك الأحاديث التى وضعها أبو هريرة فى ذم على رضى الله عنه ومن رواها من الثقات . أنها لا وجود لها الا فى أدمغتهم وخيالاتهم . ان الذى نقرؤه عن أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو الازراء على أمير المؤمنين علىّ كرم الله وجهه ، وانما هو الاشارة الى ما سيكون من بعض حكام الأمويين من ظلم . ومن تلك الأحاديث : « هلاك أمتى على يدى غلمة من قريش فقال مروان غلمة ، قال أبو هريرة : ان شئت أن أسميهم بنى فلان وبنى فلان » . « يهلك الناس هذا الحى من قريش قالوا فما تأمرنا قال لو أن الناس اعتزلوهم » وفى هذا وذاك تعريض ظاهر ببعض أمراء بنى أمية وتحريض على اعتزالهم . ومما كان يدعو به كما فى الصحيح « اللهم انى أعوذ بك من رأس الستين وأمارة الصبيان » وقد استجاب الله دعاء أبى هريرة فمات سنة ثمان وخمسين . ولم يدرك سنة ستين التى تولى فيها يزيد وكان منه ما كان .

ثناء الحاكم في المستدرك على راوية الإسلام

عقد الحاكم أبو عبد الله فى كتابه « المستدرك » [١] فصلا قيما فى الثناء على راوية الاسلام ذكر فيه كثيرا من الأحاديث الدالة على فضله وعلو شأنه ثم ختم هذا الفصل بقوله نقـلا عن شيخه أبى بكر قال : « وانما يتكلم فى أبى هريرة لدفع أخباره من قد أعمى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معانى الأخبار : أما معطل جهمى يسمع أخباره التى يرونها خلاف مذهبهم الذى هو كفر فيشتمون أبا هريرة ، ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه ، تمويها على الرعاء والسفلة ، أن أخباره لا تثبت بها الحجة . وأما خارجى يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يرى طاعة خليفة ولا امام ، اذا سمع أخبار أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم خلاف مذهبهم الذى هو ضلال ، ولم يجد حيلة فى دفع أخباره بحجة وبرهان ، كان مفزعه الوقيعة فى أبى هريرة . أو قدرى اعتزل الاسلام وأهله ، وكفر أهل الاسلام ، الذين يتبعون الأخبار الماضية التى قدرها الله تعالى ، وقضاها قبل كسب العباد لها ، اذا نظر الى أخبار أبى هريرة التى قد رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم فى اثبات القدر ، ولم يجد حجة يؤيد بها صحة مقالته التى هى كفر وشرك ، كانت حجته عند نفسه أن أخبـار أبى هريرة لا يجوز الاحتجاج بها . أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه ، اذا سمع أخبار أبى هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه واختاره تقليدا بلا حجة ولا برهان ، تكلم فى أبى هريرة ودفع أخباره التى تخالف مذهبه ، ويحتج بأخباره على من خالفه اذا كانت أخباره موافقة لمذهبه ..

---

(١) ٣ ـ ٥٠٦ وما بعدها

قال الحاكم : وأنا ذاكر بمشيئة الله عز وجل فى هذا رواية أكابر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عن أبى هريرة فقد روى عنه : زيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصارى وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن الزبير وأبى بن كعب وجابر وعائشة والمسور بن مخرمة وعقبة بن الحارث وأبو موسى الأشعرى وأنس بن مالك والسائب بن يزيد وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو أمامة بن سهل وأبو الطفيل وأبو نضرة الغفارى وأبو رهم الغفارى وشداد بن الهاد وأبو حدرد عبد الله بن حدرد الأسلمى وأبو رزين العقيلى ووائلة بن الأسقع وقبيصة ابن ذؤيب وعمرو بن الحمق والحجاج الأسلمى وعبد الله بن عكيم والأغر الجهنى والشريد بن سويد رضى الله عنهم أجمعين ، فقد بلغ عدد من روى عن أبى هريرة من الصحابى ثمانية وعشرين رجلا — فأما التابعون فليس فيهم أجل ولا أشهر ولا أشرف ولا أعلم من أصحاب أبى هريرة ، وذكرهم فى هذا الموضع يطول لكثرتهم . والله يعصمنا من مخالفة رسول رب العالمين ، والصحابة المنتخبين ، وأئمة الدين من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، رضى الله عنهم أجمعين ، فى أمر الحافظ علينا شرائع الدين ، أبى هريرة رضى الله عنه » أ هـ . كلام هذا الامام الكبير ، فى راوية الاسلام الجليل .

ومما يؤسف له كل الأسف بعد هذا كله أن نابتة من أدعياء الاسلام لم يذوقوا للعلم طعما ، ولم يعرفوا للاسلام قدرا ، يكيدون لهذا الدين ، بالنيل من أصحاب سيد المرسلين ، ولا هم لهؤلاء سوى جمع الحطام . ومن عجب أنهم يرمون أبا هريرة رضى الله عنه بأنه كان يضع الأحاديث فى ذم على رضى الله عنه ، على جعل يتقاضاه من معاوية رضى الله عنه ،

فى الوقت الذى هم فيه يشتغلون صنائع وعملاء لجمعيات « التبشير » ، وهذه الجمعيات تغدق عليهم الأموال الطائلة ، لقاء تسخيرهم فى الطعن على الاسلام ، والحط من قدر علمائه الأجلاء : « ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا » .

المبحث السابع

« تراجم لبعض رواة الحديث من التابعين »

من هم التابعــون : قال الخطيب : التابعى من صحب صحابيا ، ولا يكتفى فيه بمجرد اللقى ، بخلاف الصحابى مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فانه يكتفى فيه بذلك ، لشرف النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلو منزلته ، فالاجتماع به يؤثر فى النور القلبى أضعاف ما يؤثره الاجتماع الطويل بالصحابى وغيره من الأخيار . وقال أكثر المحدثين : هو من لقى صحابيا وان لم يصحبه ولذلك ذكر مسلم وابن حبان « الأعمش » فى طبقة التابعين لأن له لقيا وحفظا ، رأى أنس بن مالك وأن لم يصح له سماع المسند عنه .وعد الحافظ عبد الغنى فيهم « يحيى بن أبى كثير » لكونه لقى انسا . وعد فيهم أيضا « موسى بن أبى عائشة » لكونه لقى عمرو بن حريث . واشترط ابن حبان التمييز عند اللقى فان كان صغيرا لم يضبط فلا عبرة برؤيته كخلف بن خليفة عده من أتباع التابعين وان رأى عمرو بن حريث لكونه كان صغيرا لا يميز. قال العراقى: «وما اختاره ابن حبان له وجه كما اشترط فى الصحابى رؤيته للنبى صلى الله عليه وسلم وهو مميز » . قال : « وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم الى الصحابة والتابعين بقوله (طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى لمن رآى من رآنى ..) الحديث . فاكتفى فيهما بمجــرد الرؤية » (التدريب ص ٢١٢) .